

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى
آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فالبرغم من أن هذه الندوة تتعلق بالعلاقات المصرية السعودية فى عهد جلالة
المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله ، وأن هذا البحث يتعلق بارتباط القبائل العربية
فى مصر بالقبائل العربية فى السعودية ، فإن جذور هذا الموضوع تمتد إلى فترة بعيدة
جدا عن عهد الملك عبد العزيز ، وماهذه الندوة إلا اثبات للصلات الوثيقة ، والروابط
العديدة التى تربط بين البلاد العربية جمعاء ، ومصر والسعودية بصفة خاصة ونرجو
أن تركز كل الدول العربية على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتوجيهها إلى ما فيه
خير البلاد العربية قاطبة وصالح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانها وآمالها .

ويطيب لى أن أبدأ بحثى بهذه الكلمات المعبرة التى وجهها جلالة المغفور له
الملك عبد العزيز إلى أبناء مملكته عندما وصل إلى بلاده بعد عودته من مصر فى
زيارته الرسمية لها إذ يقول :

" شعبى العزيز . أحمد الله إذ أعود إليكم من بلاد هى بلادى وبلادكم مصر
العزيزة ، بعد أن لاقيت فيها من جلالة أخى الملك وحكومته وشعبه فى كل شبر مشيت
فيه من أرض الكنانة من الحفاوة والاكرام ما لا يحيط به الوصف ، ولا يفى بحقه وافر
الشكر ، فقد كانت قلوبهم تتكلم قبل ألسنتهم بما تكنه لى ولكم ولبلادكم من حب
لا يماثله إلا ما أشعر به من حب عميق لأخى ولبلاده ، وما أستشعر فى قلوبكم من حب
لجلالته ولبلاده .. " (١) .

هذه الكلمات جزء من الكلمة التي وجهها المغفور له الملك عبد العزيز لشعبه بعد عودته الميمونة من زيارة المحبة إلى مصر " العزيزة " . كما وصفها جلالته ، ويتضح من الكلمات مدى عمق الروابط وصدق المشاعر اللذين يجمعان بين الشعبين المصرى والسعودى ، وتعكس العبارات مدى مايكنه جلالة الملك عبد العزيز من ود ومحبة للشعب المصرى ، أيضا مايكنه الشعب المصرى من المشاعر نفسها نحو جلالة الملك عبد العزيز لبلاده الحبيبة إلى نفس كل مصرى فى كل شبر مشى فيه جلالته .

ونلاحظ العبارة القوية التى وردت فى الكلمة ، وهى عبارة " بلاد هى بلادى وبلادكم " مما يدل على أن جلالة المغفور له كان يعتبر مصر بلده وبلد أهل المملكة جميعا ، ومن صدق تعبيرات المحبة والمودة والتآخى بين الشعبين أن يسمى مصر بمصر العزيزة .

ويسعدنى أن أشير إلى أمرين ، أولهما : -

أن محافظة الشرقية والتى تتعقد الندوة فى رحاب جامعتها من أكثر محافظات مصر شمولا للقبائل العربية التى نزحت من الجزيرة العربية منذ الفتح الإسلامى ، وثانيهما أن الباحث ينتمى إلى قرية ضمن ثلاث قرى متجاورة فى محافظة القليوبية على حدود محافظة الشرقية تحمل كل منها اسم (عرب) ، الأولى عرب الصوالة ، والثانية عرب جهينة ، والثالثة عرب العليقات ، وقد اتضح من خلال البحث ، أن هذه القبائل الثلاث نازحة من الجزيرة - كما سيرد فى موضعه - ومازال أهلى يعيشون هناك ومازالت العادات والتقاليد العربية هى طابع هذه القرى ، فمن السهولة بمكان أن نلمح الطابع القبلى العربى فى هذه القرى من ملابس وعادات وتقاليد فى المناسبات

المختلفة ، وعدم تزويج العربى ابنته للفلاح ، وأسلوب القضاء الذى يحتكمون فيه إلى مشايخ القبائل لحل أكبر المشاكل ، والتقاء أفراد العائلة فى مكان يتوسط منازل كل عائلة يجمع الأفراد ليناقشوا أحوالهم ويسهموا فى حل مشاكل بعضهم البعض وكذا التوسط فى حل النزاعات بين القبائل الأخرى . وماهذه القرى إلا نماذج من آلاف القرى العربية فى مصر .

أما عن ارتباطات القبائل العربية فى مصر بالقبائل العربية فى المملكة العربية السعودية فقد أكد المؤرخون أنه لا توجد أجناس خالصة ولا شعوب نقية لأن الاختلاط والتزاوج بين الأجناس المختلفة يحدث باستمرار من أقدم العصور منذ بدأ الانسان يتحرك من مكان إلى مكان ، سعيا وراء رزقه بالوسائل السلمية كالتجارة وتبادل السلع ، أو بالوسائل الاعتدائية ، كالغزو والسلب ، فجميع السلالات الموجودة الآن على سطح الأرض سلالات خليطة وليس فيها ما هو نقى بالمعنى المفهوم . وقد أكتشف علماء الأجناس عند دراستهم للسلالات القديمة أن شعوبها مختلطة أيضا كشعوب الأزمنة الحديثة والقول بأن الشعوب الحالية نتجت عن اختلاط سلالات كانت نقية فى الماضى لا دليل عليه .

ويتوزع العرب على ممالك وجمهوريات وسلطنات وامارات تزيد عن العشرين ، ومع ذلك فهى جميعا متجاورة متلاصقة لاتكاد تفصل بين الواحدة والأخرى حواجز جغرافية ، وترتبط بين رعاياها منذ عصور ما قبل التاريخ وشائج من المصالح الاقتصادية والوحدة الثقافية ، وتجمع بين حكومتها منذ فجر التاريخ فى فترات متلاحقة أشكال مختلفة من الوحدة السياسية ، بل أنها فى أكثر من عهد بدت جميعا دولة واحدة .

أما عن مصر فالظاهرة الكبرى فى تاريخها هى سرعة ازدهار الحياة العربية فيها ، وتفانى المصريين فى خدمة الحضارة الإسلامية ونشر رسالتها ويرجع السبب فى ذلك إلى سرعة امتزاج العرب الوافدين إلى مصر بعد الفتح الإسلامى بسكان البلاد ، وظهور جيل عربى جديد صار الحارس الأمين على المجتمع العربى الناشئ وتنمية تقاليده ودعم قواعده .

ولقد حكم اليونان والرومان مصر وبلاد الشام ألف سنة (٣٣١ ق.م - ٦٤٠ م) وجاء منهم إليها وخاصة من اليونانيين الآلاف المؤلفة واستقروا فيها ونشروا لغتهم وثقافتهم ، وقد جمع بينهم وبين سكانها دين واحد هو المسيحية قرابة أربعة قرون ، وترجمت إلى اليونانية الكتب الدينية المقدسة ، وصارت لغة عبادة وطقوس للكثير من النصارى فيهما ، ومع ذلك فانه لم يستطيعوا أن يفرضوا على مصر وبلاد الشام طابعهم وصيغتهم ، بل لقد كان جمهرة أهلها يرونهم غرباء وينقبضون عن معاشرتهم (٢) .

وليس هناك تعليل معقول لهذه الظاهرة الأصدق نظرية وحدة الأورمة والدُم والروح التى كانت تجمع بين القادمين من جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده وبين سكان بلاد الشام والعراق ومصر والذين يمتون فى أصولهم إلى جزيرة العرب والجنس العربى حيث سهلت تلك الوحدة ذلك التقارب والتمازج وسيادة الطابع العربى بعامة على هذه البلاد .

تاريخ القبائل العربية في مصر (قبل الإسلام) :

الدارس لتاريخ العرب يجد الترابط القبلى وأثره الواضح حتى يومنا هذا خاصة منذ القبائل التى هاجرت من الجزيرة العربية واستقرت في مصر فانهم يشعرون أنهم ينتمون إلى أب واحد وأنهم بنو عمومة . ولذا فلاعجب أن نرى فرحة الشعب المصرى بانتصارات الملك عبد العزيز فى الجزيرة العربية واستقبالهم اياه فى مصر هذا الاستقبال الرائع الذى عبر عنه جلالتة فى تلك الكلمات النابعة من القلب والتى تفيض بعبارات الود والمحبة بين الشعبين الذين يجمعهما الاصل الواحد . فغاليلية سكان مصر ينتمون إلى قبائل عربية نزحت فى فترات تاريخية من الجزيرة العربية واستقروا بها إلى الوقت الحاضر لذا فإن الصلة بين شعبى البلدين ليست حديثة وإنما لها جذور ضاربة فى القدم.

مما حدا بالمستعمرين وأعوانهم أن يصنعوا العراقيل فى طريق الاتحاد والتقارب وذلك باذكاء نار الفتن والاضطرابات الطائفية والعنصرية لكى يتسنى لهم التدخل والتفرقة بين الشعوب العربية .

وقد حرص الانجليز على ابقاء المصريين فى غفلة عن حقيقتهم العربية حينما انبعثت الحركة العربية الحديثة فى أوائل القرن العشرين متعاونين فى ذلك مع الأسرة العلوية التركية والمغرضين من المبشرين والشعوبيين فنجحوا فى تحقيق ماحرصوا عليه لآمد غير قصير ، وكان من آثار ذلك ، الدعوة التى عرفت بالفرعونية والتى رمت إلى صرف نظر المصريين عن الفكرة العربية الحديثة وارجاعه إلى الوراء البعيد ومحاولة تلقين المصريين أنهم لايمتون إلى العرب والعروبة وإنما إلى الفراعنة أصحاب المجد

والعظمة والحضارة والعمران الزاهر الذى كان أساس مدنيت العالم وكون العرب ليسوا إلا غزاة طارئين ، متجاهلين بل منحرفين عن الحقائق التاريخية الكبرى التى تقرر صلة المصريين القدماء بجزيرة العرب والجنس العربى واستمرار هذه الصلة منذ الإسلام إلى الآن قوية وثيقة بما تدفق على مصر من الموجات العربية الصريحة التى لم ينقطع تلاحقها والتى طبعت مصر بطابعها الشامل الخالد .

وقد أردفت هذه الدعوة بالدعوة إلى اصطناع اللغة المصرية الدارجة فى التعليم والأدب والصحافة والتمثيل والتأليف والصكوك بحجة سهولة نشر الثقافة وإيجاد أدب مصرى خاص ولغة مصرية خالصة ، مستهدفين فى الحقيقة النأى شينا بعد شىء عن ضوابط اللغة الفصحى إلى أن يصبح لمصر لغة ولهجة بعيدة عنها فيزداد الانعزال والانكماش عن العرب والعروبة قوة وشدة .

وهناك من دعا إلى الغاء الحروف العربية واصطناع الحروف اللاتينية اقتفاء بالترك الذين لم يفعلوا ذلك إلا لقطع الصلة بينهم وبين العرب والثقافة العربية (٣) .

كان فتح مصر سنة (٢١هـ / ٦٤١م) حدا فاصلا بين عهدين مختلفين تماما ، فقد انتقلت من التبعية للدولة البيزنطية إلى الدولة الإسلامية الناشئة بالحجاز (٤) .

ولايعنى ذلك أن العرب كانوا غرباء عن مصر منقطعى الصلة عن المصريين ، بل تجمع المصادر على أن العرب من قدماء سكان مصر لاكما يتصور البعض من أن العرب دخلوا مصر مع الفتح ، وأنهم لذلك غرباء لاصلة هناك بينهم وبين المصريين قبل الإسلام (٥) .

ونحن لانغالى إذا قلنا أن اتصال بمصر يرجع إلى عهود سحيقة ، فإن صلات

السلالة والدم بين وادى النيل الأدنى وشمال الجزيرة العربية هى صلات بعيدة الاصل ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ ، إذ يرى علماء الجيولوجيا أن الجزيرة عبارة عن تكملة لصحارى أفريقيا التى يفصلها عنها الآن منبسط وادى النيل ومنخفض البحر الأحمر العميق ، كما ذهبوا إلى أن الجزء الجنوبى الغربى من بلاد العرب كان فى العصور الجيولوجية القديمة يتصل بأفريقيا وكان البحر الأحمر عبارة عن بحيرة (٦) .

وإذا كان البحر الأحمر قد شكل فيما قبل التاريخ موانع لا يمكن التغلب عليها بالنسبة إلى قرى حربية كبيرة وجعل من مصر بلدا لايسهل غزوه ، فقد كان الأمر ميسورا جدا فى حالة تسلل أفراد أو جماعات أو قوافل تجارية صغيرة سواء من الشمال عند شبه جزيرة سيناء حيث تلتقى الصحراء الشرقية ببلاد العرب لقاء دائما ، أو من الجنوب حيث يشتد اقتراب جزيرة العرب من أفريقيا عند باب المندب فلا يفصل بينهما سوى خمسة عشر ميلا (٧) .

وهكذا يتضح أن هجرة العرب إلى مصر كانت منذ أقدم العصور ، فى الجاهلية البعيدة ، وأن الهجرة إلى مصر كانت أمرا ميسورا فى أى وقت فى خلال تلك العصور لوجود قنطرة ثابتة مفتوحة للعبور منذ القدم ، وهى طريق سيناء (٨) .

وقد زار المؤرخ اليونانى هيرودوت مصر حوالى ٤٤٨ - ٤٤٥ ق.م . ويظهر من كلامه أن الأقسام الشرقية من مصر ، ولاسيما المناطق المتصلة بطور سيناء كانت مأهولة بقبائل عربية . وطبيعى أن هذه القبائل استقرت هناك قبل ذلك العصر بزمان طويل (٩) .

وقد سجل التاريخ أن بعض الموجات النازحة إلى مصر كانت لا تتجاوز منطقة

الوجه البحرى وجزءا منها ، وبعضها الآخر ، كان يتوغل إلى أن يصل إلى صعيد مصر الأعلى ، فلم يكن أثر العرب مقصورا على جهة معينة من مصر بل كان موزعا على جهات مختلفة منها . غير أن هذه الموجات النازحة ، كانت فى تلك العهود أشبه ماتكون بالجاليات ، لأنها عاشت حينئذ فى كنف حكومات غير عربية ، ولأنها كانت تحمل معها ألسنة مختلفة عن اللغة الرسمية لمصر ، ولأنها لم يتح لها فى تلك العهود الانضواء تحت لغة رئيسية واحدة تجمع بين شتاتها ، تؤلف بين المتكلمين بها ، ولأن هذه الجماعات كانت مفرقة الاهواء الدينية والسياسية لا يجمع بينها منزع دينى واحد ولاجهة سياسية معينة ، ومع هذا كله فلاسبيل إلى إنكار أن هذه الهجرات المتلاحقة ، كانت تمثل المرحلة الأولى فى تعريب مصر ، لأن اللغات أو اللهجات التى حملوها معهم إلى مصر ، على اختلافها تعد شقائق للغة العربية التى نعرفها اليوم ، ولأن الأسس الحضارية التى عبروا عنها ومارسوها ، كانت أسسا عربية انبعثت من بيئات شبه الجزيرة العربية ولأن هذه الجماعات لا بد أنها قد امتزجت بأهل مصر الأقدمين وخلقت فيهم آثارا إسلامية وثقافية (١٠) .

وعلى الجانب الآخر نجد المصريين قبل الإسلام قد عاشوا فى الحجاز ، بل فى مدينتيه الكبيرتين مكة ويثرب نفسهما فقد ورد فى كثير من المصادر والمراجع التاريخية أن الكعبة طفى عليها قبيل ظهور الإسلام ، أو على وجه التحديد قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات (٦٠٦ م) سيل عظيم صدع جدرانها ، فأعاد قريش بناها مستعينة فى ذلك ببهار قبلى كان يسكن مكة ، ويقول شراح السيرة أن اسمه باقوم (١١) .

وجاد فى كتب الطبقات أن جبر بن عبد الله القبطى كان أحد الصحابة الذين أخذوا عن النبى دينهم ، ولذلك يفخر قبط مصرية وقد كان رسول المقوقس إلى النبى بمارية والهدية (١٢) .

وربما كانت آخر هجرة عربية إلى مصر قبل ظهور الإسلام تلك التى قام بها بعض بطون خزاعة ، فيما تقول كثير من المراجع ، حين خرجوا فى الجاهلية إلى مصر والشام لأن بلادهم أجذبت (١٣) .

وبتتبع العلاقات بين العرب والمصريين عبر العصور المختلفة لانتمك أنفسنا من الاحساس الشديد ، إن لم يكن الاقتناع القوى بأننا ازاء ظاهرة بعينها واضحة ثابتة دائمة ، تلك هى أنه منذ أقدم ما يستطيع التاريخ أن يعى ، وإلى أبعد ما استطاع البحث أن يصل ، قامت بين المصريين سكان وادى النيل وبين العرب سكان شبه الجزيرة صلات قوية هامة متنوعة ، وأن هذه الصلات لم تزل منذ قامت مستمرة لاتتوقف ، متصلة لاتنقطع ، مثلها مثل سلسلة طويلة تؤدى كل حلقة منها إلى التى تليها فى اطراد دائب ، وتتابع مستمر (١٤) .

هكذا اتصلت مصر وبلاد العرب ابتداء من مصر ماقبل الأسرات حتى نهاية الحكم الرومانى فى مصر ، أى مايقرب من واحد واربعين قرنا ونصف قرن ، ونلاحظ فى هذه الصلات خواصاً بعينها تعطيها شكلها المتميز فى : -

أولاً : لم تنقطع ولم تتخلف فى عصر من العصور ، وإنما استمرت فى اطراد دائم وجريان مستمر كماء النيل نفسه .

ثانياً : هى صلات واقعية قوية ، فرضت نفسها فرضاً على الجانبين ، ولم تقف

فى وجهها الصحراء ولا البحر ولا اختلاف اللغة ، بل لم تكن هذه الحواجز سوى حواجز وهمية .

ثالثا : هى صلات متنوعة تبادل الشعبان عن طريقها الكثير من حاجات الحياة ومظاهر الحضارة ، فهى صلات اقتصادية ، لغوية ، دينية ، فكرية ، سياسية ، عسكرية .

رابعا : هى صلات حية متجددة متطورة ، لم تجمد عند شكل بعينه ، بل تجددت دائما بتجدد طبيعة الظروف ومقتضيات العصر فى استجابة سليمة لمطالب البقاء عند كلا الشعبين .

ويحدثنا المؤرخون الإسلاميون عن طائفة من رجالات العرب كالمغيرة بن شعبة وعثمان بن عفان ^(١٥) زاروا مصر للتجارة فى الجاهلية ، ولكنهم عبروا عن ذلك فى هذا الشكل القصصى الذى نلمحه فى رواية ابن عبد الحكيم عن معرفة عمرو بن العاص بمصر فى الجاهلية وعن رحلته إلى الاسكندرية واشتراكه فى احتفالاتها ^(١٦)

ومهما يكن من شىء فان اتجاه المسلمين إلى مصر لم يكن ظاهرة جديدة مجردة عن أصولها فى أعماق الماضى القريب والبعيد ، ومن الحق أننا نحن العرب والمصريين المعاصرين فى حاجة إلا أن نعى هذه الحقيقة التاريخية الناصعة بدرجة كافية من الوضوح لأن الفكرة السائدة : - وهى أحد الأخطاء الخطيرة المشهورة - هى أن العرب والمصريين لم يسبق لهم أن اتصلوا ببعض إلا عند الفتح الإسلامى فى القرن السابع للميلاد .

وهاقد رأينا أن هذه الصلة تمتد فى الماضى إلى أبعد مايمكن أن يصل إليه

التاريخ نفسه ، وأنها ظلت قائمة على مر العصور دون تخلف ، وهذا كله ، على أية حال ، ينتهى بنا إلى نتائج هامة أولها أن دخول العرب مصر سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠ م لم يكن حدثا فذا لاسابقة له ولانظير ، فالواقع أنه لم يكن سوى حلقة جديدة فى هذه السلسلة الأزلية من العلاقات العميقة فى الحياة المصرية . وثانيها أن دخول العرب مصر حينذاك لم يكن مفاجأة للمصريين كما لم يكن شيئا غريبا على العرب ، ذلك بأن العرب لم يكونوا مجهولين من المصريين ، ولاكان المصريون مجهولين من العرب ، فقد كان كل من الجانبين يعرف الآخر معرفة حقة (١٧) .

ارتباط القبائل العربية فى مصر والسعودية بعد الإسلام :

كانت الجزيرة العربية كوكبا تابعا يدور فى فلك عظيم تتجاذبه قوة الفرس والروم ، أما بعد الإسلام فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن ينطلق العرب من هذا الفلك ، ويصيب هذه المجموعة للدائرة تغير فى مركز ثقلها ، وتحطم لبعض أجزائها وكواكبها ، وينتج عن ذلك أن تكون الجزيرة مركز الثقل، وأن تدور البلاد الأخرى فى فلكها (١٨) .

وكان العرب يحسون احساسا واضحا بما بينهم وبين المصريين من صلة دموية وقرباة جنسية تتمثل فى أمومة هاجر المصرية التى أهداها صاحب مصر إلى ابراهيم عليه السلام حين دخل مع زوجه سارة للعرب المستعربة ، وخثولة المصريين لاهراميم ابن النبى صلى اله عليه وسلم من مارية القبطية ، وبرأ بهذا الرحم أوصى النبى بالقبط خيرا (١٩) .

ويدخل فى هذا ماينسب إلى عبد الله بن عمرو بن العاص من أنه قال : " أهل

مصر أكرم الأعاجم كلها ، واسمحهم يدا ، وافضلهم عنصرا ، واقربهم رحما بالعرب
عامه وبقرش خاصة (٢٠) .

كما اتضح من قبل فقد كانت هناك صلات بين مصر وبلاد العرب شمالها
وجنوبها ، فلم تكن هذه البلاد غريبة عن المصريين مجهولة منهم ، ولم تكن مصر
غريبة عن عرب الحجاز وعرب اليمن ولا بعيدة منهم - كانت هنالك دائما هذه الصلات
القائمة والمتبادلة . ومن الخداع أن نتوهم أن صحراء مصر الشرقية أو البحر الأحمر
أحاطا مصر بهذه العزلة القاسية وحالا بينها وبين جيرانها - فقد كان هناك هذان
الجسران العريضان المهددان للذان حقا لمصر وبلاد العرب ألوانا من المشاركة
والاتصال : الجسر البرى ممثلا فى صحراء سيناء ، والجسر البحرى ممثلا فى البحر
الأحمر والطرق التى تلاقى مابينه وبين النيل (٢١) .

ولقد دخل الإسلام مصر سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م أى بعد سبع سنين فقط من بدء
تحركه خارج الجزيرة ، وكان ذلك إيذانا ببدء عملية حيوية كبرى اعتملت فى تصميم
الكيان المصرى ، وأسفرت - أول وأهم مأسفرت - فى خلال القرون الثلاثة التالية
عن ميلاد مصر العربية - إذ غيرت مصر فى خلال هذه الفترة لغتها لأول مرة فى
تاريخها الطويل ، وغيّرت دينها لثانى مرة .

ولم يتم هذا التغير قهرا ولا قسرا بالسوط أو بالسيف ، ولا باصدار قوانين من
الدولة وإنما تم هذا بطريقة طبيعية بطيئة طويلة نتيجة للاتصال التدريجى والاختلاط
المتزايد بين العرب والمصريين .

وإذا تتبعنا ماأحصته المصادر من جيوش الفتح وعدد أفرادها الذين دخلوا

مصر مع عمرو بن العاص والزبير بن العوام وعبد الله بن سعد وغيرهم ، فى خلال ربع القرن الأول من الفتح (١٨-٤٣ هـ / ٦٣٩ - ٦٦٣ م) وجدنا بضع عشرات من الأثوف ، نزلوا مصر وأقاموا فى الفسطاط والجيزة والاسكندرية وبعض جهات الصعيد (٢٢) .

وأيا كان نصيب هذه الأرقام من الدقة - ونحن لانجد داعيا لذكرها هنا - فهى تشير إلى ظاهرة لاشك فيها وهى ازدياد العرب فى مصر باطراد حتى انهم تضاعفوا حوالى سبع مرات فى أقل من نصف قرن .

وقد اختط المسلمون الفسطاط فى مصر ، وأقاموا أول ما أقاموا هذا المسجد الذى كان محور حياتهم وآية استقرارهم فى الأرض وغلبتهم عليها ، وكان تمثيلاً لكل حركتهم فى طابعها الدينى وفى ظواهرها الاجتماعية ، ثم مضوا بعد ذلك فى وضع الخطط .

وقد حفلت المصادر بالحديث عن قبائل الفتح وتخطيط الفسطاط ، فاقطع ابن عبد الحكم باباً خاصاً بالخطط (٢٣) ، وقص علينا القلقشندى فى صبح الأعشى (٢٤) منازل القبائل وأسماءها ، وأفرد المقرئى كتاباً خاصاً سماه : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب (٢٥) ، فلما كانت الدراسات الحديثة استطاع الأستاذ كيتانى (٢٦) أن يرسم خطط الفسطاط ، وفاق النصرص التى تناهت إلينا عن منازل القبائل وتجاورها (٢٧) .

والذى نستطيع أن نفيده من هذه المصادر أن هذه الخطط تشبه فى رأى المقرئى حارات القاهرة لعهد فيقول : " أعلم أن الخطط التى كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة

الحارات التى هى اليوم بالقاهرة ، فليل لتلك فى مصر خطة وقيل لها فى القاهرة
حارة " (٢٨) .

وأن الخطة كانت تأخذ اسم القبيلة التى تنزلها وأن هناك جماعة من متفرقة
القبائل لم يكن عددهم يسمح لهم أن يناموا بخطة مستقلة فتضاعوا بينهم ، ثم
توزعت القبائل فى الخطط (٢٩) ويجب الإشارة أيضا إلى أن دلالات هذه الخطط
لا تعنى بالضرورة أن هذه القبائل كانت كلها قد شاركت فى الفتح وليس بين أيدينا
نص مقرر يدل على أن هذا التخطيط بالصورة التى نقل إلينا فيها كان كله عقب الفتح
مباشرة ، ولانملك صورة واضحة لتدرجه ، وأقدم الروايات عنه إنما ترجع إلى ما كتبه
ابن عبد الحكم فى القرن الثانى الهجرى وأغلب الظن أن عمرا اختط الفسطاط أولا ،
ثم استمدت القبائل من ورائها فى الجزيرة واستدعته ، واختطت لنفسها إلى جانب من
حولها حتى اكتملت لنا هذه الصورة التى يحدثنا عنها رواية ابن عبد الحكم .
وتتابعت القبائل بعد ذلك تهبط أرض مصر ، إما فى صورة جيوش مجندة يبعث بها
ال خليفة ، أو أنها كانت تصاحب الولاة الأمويين لتشد من أزهم ، أو أنها كانت تفد
مهاجرة تبتغى سعة من الرزق وبحبوحة من العيش ، وازداد عدد القبائل حتى وهبتها
مصر مصريتها واستوهبتها لغتها وعقيدتها .

وبدل تخطيط الفسطاط على أن أكثر مسلمى مصر كانوا من عرب الجنوب غير
أن استقراء أبناء المهاجرين إلى مصر عند المؤرخين الذين عنوا بالالتفات إلى القبائل
كالمقرئى والكندى والسيوطى ينتهى بنا إلى أن قبائل الشمال كانت قليلة حتى ولاية
عبد العزيز بن مروان سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م فقد ذكر الكندى (٣٠) والمقرئى أن عبد

العزیز قال لأبیہ مروان حین ولاء : " یاأمیر المؤمنین کیف المقام ببلد لیس فیہ أحد من بنی أمی " فلما کان عهد هشام أوائل القرن الثانی قص الکندی ماکان من أمر عبید اللہ بن الحجاب مع هشام حین ولاء مصر .

مااتفقنا علیہ من انزال مائة أهل بیت من بنی نصر ومائة أهل بیت من بنی عامر (۳۱) ومائة أهل بیت من أبناء هوازن (۳۲) ومائة أهل بیت من بنی سلیم (۳۳) فی (بللیس) التابعة الآن لمحافظة الشریقة - وأمرهم - عبید اللہ بالزرع ونظر إلى الصدقة من العشور فصرفها إلیهم فاشترؤا اہلا فکانوا یحملون الطعام إلى القلزم وکان الرجل یصیب فی الشهر عشرة دنانیر وأكثر وأقل ثم أمرهم باشتراء الخیول فجعل الرجل یشترى المهر فلا یمکث إلا شهرا حتی یرکب ، ولیس علیهم مؤونة فی أعلاف اہلهم ولاخیلهم لمجودة مرعاهم . فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحمل إلیهم خمسمائة أهل بیت من البادية فکانوا علی مثل ذلك فاقاموا سنة فأتاهم نحو خمسمائة أهل بیت فمات هشام وبللیس ألف وخمسمائة أهل بیت من قیس (۳۴) .

وهذا النص الذی یسوقه الکندی غزیر الدلالة من حیث أنه صورة حية متحركة لهجرة القبائل فحسب ، بل من حیث أنه صورة واضحة قوية الدلالة ، تحدھا أرقام وسمات لحياة العرب فی مصر وطریقتهم فی اکتساب العیش واسلوبهم فی الهجرة وتنادبهم لها وبواعثهم علیها واختلاطهم بالمصریین وممارستهم لأنواع من العمل .

فلم یكونوا ، أو لم یعودوا هذه الطبقة المستعلية التى تمتهن الحکم وتصطنع الادارة وتعیش فی الدیوان ، ولكنها هذه الطبقة التى تعنى بالتجارة بین الحجاز ومصر ، وتربى الخیول ، وترعى الابل ثم تغدو بها تبیعها ، ویدر علیها ذلك ربحا لا یغفل

الكندى تحديده حتى تكتمل لنا صورة واضحة عن مستوى المعيشة آنذاك ، وهو ربح يغنى هذه الطبقة من أن تنتظر نصيبها فى الديوان أو تنظر إليه ، ولعل هذه المقدمات هى التى هونت على المعتصم بعد قرن كامل أن يقطع الأعطيات عن العرب ويسقط من فى الديوان منهم (٣٥) .

ولعل حادثة قطع الرواتب جعلت كثيرا من القبائل التى كان ينحصر موردها فى الجهاد والحرب ، تنفرق على مصر لممارسة الزراعة أو التجارة أو الصناعة أو غير ذلك من المهن والحرف (٣٦) وأزدادت فى الاختلاط بين العرب والمصريين .

ونعلم أيضا أن الجيش الفاتح بالرغم من اقامته فى معسكر بنى له خاصة منذ اللحظة الأولى فى الفسطاط ، إلا أنه لم يكن يقيم فى هذا المعسكر بصفة دائمة ، فقد كان جنوده يتحركون داخل البلاد لأسباب مختلفة منها الارتباع ، فكانوا ينتقلون كل ربيع إلى القرى المصرية يطلقون خيولهم فى حقول البرسيم ترعى حتى تسمن ، بينما ينطلقون هم يصطادون ، ويشربون اللبن الذى يقدمه المصريون إليهم ويأكلون الخراف التى يحصلون عليها منهم (٣٧) .

وقد تمت هذه العملية وفق قواعد محددة ، بعيدة عن الارتجال وحسب نظم تنسق مجراها الاجتماعى دون انحراف أو احزار .

وصار نظام الارتباع وتكراره كل سنة وسيلة لتوسيع الروابط الاجتماعية بين القبائل العربية بعضهم البعض أولا ، ثم بين مجموعاتهم الكبرى وأهل البلاد المحليين ثانيا وفق القواعد المقررة لهذا النظام ، ثم أن السلطات الإسلامية نظمت أيضا الخطوات التنفيذية للارتباع بتحديد الأماكن التى تتجه إليها القبائل العربية .

وقد اختارت بعض القبائل مناطق نائية ذات مناخ يتفق ومزاجها الطبيعي ذو البيئة التي سبق أن جاءت إليها .

فأقبل العرب من قريش وأهل الحجاز على الإقامة في أسوان ، لأن جوها يشبه جو الحجاز فضلا عن سهولة اتصالها عن طريق عيذاب (٣٨) على البحر الأحمر ببلاد الحجاز نفسها ، وغدت الديار المصرية تشهد مجتمعا جديدا يتكون نتيجة الارتباع واختلاط القبائل العربية مع أهالي البلاد المحليين (٣٩) .

ونستطيع أن نرى في حركة الارتباع هذه هجرة داخلية كانت تتجدد كل سنة ، وكانت القبائل في الأغلب تتردد على نفس المرتبة .

ولانزاع في أن موسم الارتباع كان يتضمن فرصا متعددة الاتصال المباشر بين العرب والمصريين المقيمين يبحث يتهياً للعرب أن يتعرفوا إلى البيئة الجديدة وسكانها في نفس الوقت الذي يتهياً فيه للمصريين أن يتعرفوا إلى هؤلاء المواطنين الجدد . وفي خلال ذلك كان يتم مع الزمن ، شيئا فشيئا ، وبلا تعسف ولا كره ، تبادل الصلات والمؤثرات المادية والأدبية ، وهو ذلك التبادل الذي انتهى آخر الأمر بتمصر العرب الذين وفدوا إلى مصر وتعرب المصريون أنفسهم ، وظهور ذلك الإنسان الجديد المصرى بيئة ، المسلم ديناً ، العربى لغة ، ولما كان الارتباع هو أقدم أشكال الاتصال بين العرب والمصريين فإن لنا أن نعتبره الخطوة الأولى أو حجر الأساس في عملية تعريب مصر .

ولأدل على ذلك من أن قبائل بعينها انتهى بها الأمر إلى اتخاذ مرتبعتها منازل والإقامة فيها بصفة دائمة بعد أن تركت الفسطاط نهائياً .

غير أن الارتباط لم يكن هو الوسيلة الوحيدة إلى اتصال العرب بالمصريين واختلاطهم بهم ، فقد اقتضت ضرورة تأمين البلاد والمحافظة على سلامتها إقامة قوات من الجنود العرب في الثغور وعلى السواحل بصفة دائمة ، وهو ما يعرف في المصطلح العسكري العربي باسم الرباط (٤٠) .

واختصت مدن مصر بعدد كبير من العرب الذين رابطوا فيها للدفاع عنها ، وحماية الإسلام في البلاد ، ومن أمثلة المدن التي اعتبرها العرب من الثغور - أي الواجب حراستها والجهاد في سبيلها - البرلس ورشيد والاسكندرية والبحيرة وأخنا ودمياط وشطا وتنيس والاشتوم والفرما والعريش وأسوان وقوص والواحات .

وبعبارة أخرى صار العرب يعيشون تماما بين المصريين سواء في المدن الكبرى أو في صميم الريف ، وأخذت تقوى بينهم أواصر المودة والألفة .

وهكذا ظل سيل القبائل العربية على هذا النحو يتدفق على مصر ، وكثر تصاهرها مع المصريين ، ومن ذلك أنه قدم إلى المصريين بعد سنة ٢٤ هـ / ٨٥٣م أي في خلافة المتوكل على الله ، جماعة من أولاد الكنز (٤١) ، وأهلهم من ربيعة بن معد بن عدنان ، أي من عرب الشمال .

وهذه الظاهرة بدورها لها أهميتها أيضا ، لأن معظم العرب الذين وفدوا إلى مصر منذ أيام الفتح كانوا من عرب الجنوب ، ثم أن أولاد الكنز انتشروا في سائر أنحاء البلاد ونزلت طائفة منهم بأهالي الصعيد ، وكان لهذه الطائفة الأخيرة أثر كبير في استقرار الأمور في مصر العليا ، بتوافقهم مع قبائل البجة (٤٢) .

وانتشرت القبائل العربية في نواحي مصر ، واختصت كل ناحية بقبيلة أو أكثر

وقد ظلت القبائل العربية النازحة إلى الآن بسمتها العشائرية فى كل مديرية من مصر فى الوجه القبلى والوجه البحرى وفى مختلف أنحاء شبه جزيرة سيناء . .

وفى عام ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م أى فى العهد المعاصر لعهد جلالة الملك عبد العزيز تم فى مصر تعداد للسكان أورد نتيجته (نعوم شقير) وفى ذكر لقبائل البدو فى مصر وقد جاء عنهم أنهم قبائل شتى وكلهم مسلمون وينتسبون إلى عرب الحجاز ، ولايزالون يتمتعون بامتيازات جمة أهمها إعفاؤهم من القرعة العسكرية ومحاكمتهم بموجب قانون خاص ينطبق على عرفهم وعاداتهم ، ثم أخذ شقير أسماء هذه القبائل وأماكنها وزعماءها نقلا عن نشرة قانون العريان الرسمية المؤرخة فى ٧ يناير ١٩٠٦ م (٤٣) ونظرة واحدة لأسماء القبائل التى أوردتها منتشرة موزعة على جميع مديريات مصر فى ذلك الوقت توضح كيف أن القبائل العربية ظلت تتدفق دون انقطاع على مصر منذ الفتح الإسلامى وتعمر ريفها ومدنها وصحاريها .

وسنذكر القبائل التى أوردتها فى محافظتى (مديرتى) القليوبية والشرقية فقط كنموذج للقبائل العربية المنتشرة فى جميع أنحاء مصر .

فقد ذكر فى مديرية القليوبية : العليقات (٤٤) ، الحويطات ، العيادية ، بحرى جهينة (٤٥) ، الصهب ، بلى بحرى ، الصواحة (٤٦) .

ولم يذكر المؤلف إلا عمدة الحويطات وهو سعد بن شديد .

وفى مديرية الشرقية : الهنادى ، الطميلات ، العيادية بحرى مطير ، النفيعات ، السعدين السماعنة ، أولاد موسى البياضيين ، أو سليمان ، عبس ، العقابلة ، الأخارسة ، بنى غازى ، القطاوية ، العتبين ، جهينة الشرقية ، أولاد على الشرقية (٤٧) .

وقد وفد مع القبائل العربية كثير من مواليتها ، الذين اسهموا بدورهم فى
الاشتغال بشتى النواحي الاقتصادية فى البلاد ، وبمرور الوقت لم يعد هناك أية تفرقة
بين العرب ومواليهم فى أرض الوطن الجديد ، وأخذت حدة العصبية القبلية تضعف
وبدأت تتلاشى .

وساعد هذا التطور الهام على سرعة الامتزاج بين العرب والمصريين حتى أنهم
وقفوا صفا واحدا أمام عنت بعض الولاة الذين جنحوا - أحيانا - إلى الاشتطاط فى
جمع الضرائب ، أو التماذى فى فرض أخرى جائرة فأحس الجميع ، من العرب
والمصريين أنهم أبناء وطن واحد ، وأن الروابط تجمع بينهم فى السراء والضراء ، ولم
تلبث الأحداث أن زادت من انصهار العرب والمصريين ، ليس نتيجة التزاوج فحسب
، ولكن بسبب التطورات الجديدة التى خضعت لها الدولة الإسلامية على عهد الخليفة
المعتصم ، ذلك أنه كتب إلى والى مصر ، وهو كيدر نصر بن عبد الله (٢١٦ هـ /
٨٣١ م) بأسقاط من فى الديوان من العرب وعدم صرف العطاء لهم - كما سبق
ذكره - وكان الاختلاط قد عظم بين العرب والمصريين إذ ذاك ، لأن قرار المعتصم بمنع
العرب من أخذ العطاء لم يكن له رد فعل عنيف بين أصحابه ، فعندما قطع كيدر
العطاء عن العرب ثار " يحيى الجروى " ولكن لم يتبعه أكثر من خمسمائة شخص ،
والنتيجة الهامة التى ترتبت على قرار المعتصم هو ازدياد الامتزاج والمصاهرة
والاختلاط بين العرب والمصريين ، واشتركوا جميعا فى أعمال الزراعة والتجارة
والصناعة ، والتعاون على النهوض بمستوى بلادهم الاقتصادية . وبعبارة أخرى أفاد
قرار المعتصم - من حيث لا يدرك أو حسبما يقول المثل العربى " رب ضارة نافعة " -
فى تدعيم الجيل العربى الناشئ فى مصر ، وتقوية الطابع العربى فيها .

ونلاحظ أنه في بلاد الأشمونين نزلت جموع من بلى وجهينة ، وانتشرت في الصحراء الشرقية وبلغوا أقصى الصعيد ، وظلوا هناك إلى زمن الفاطميين ، ثم طردوا منها ونزلت قريش مكانهم ، وانسحبت بلى وجهينة ، إلى الصعيد الأعلى حيث أصبح عدد السبثيين كبيرا ، وكانت السياسة تقتضى أحداث توازن بين القبائل العربية (٤٨) حتى يجد الحكام بين ظهرائهم الاعوان والموالين .

ففى سنة ٢٤هـ / ٨٥٤م هاجرت إلى مصر جموع كبيرة من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، واستقر فريق حول بلبيس في الحوف الشرقى (٤٩) أما الغالبية منهم فقد واصلوا رحلتهم جنوبا ، واستولوا على مناجم الذهب ، فأتسع نفوذهم وكثرت أموالهم (٥٠) .

واستقرت أيضا جماعة من السبيئة في هذه المنطقة ، ولم يكن هناك من القيسية ربيعة وحدها ، بل كان في أسوان كثير من قبائل نصر ، وخلق من قريش (٥١) .

وهذا يعنى أن موجات في القيسية قد استقرت في أرض المعدن (على الحدود الجنوبية لمصر) واشتغلوا بالتعدين ، وكذلك جماعات من السبيئة ، اسهموا جميعا في هذه المهنة ، كما أسهم اخوانهم من هؤلاء وأولئك في الزراعة والتجارة في مصر ، وبدأ من عصر الطولونيين ٢٥٤هـ / ٨٦٨م اشتد نفوذ الاتراك ، فقامت أحلاف عربية معادية للسياسة التركية في مصر ، على أنه من الانصاف أن نستثنى من هذا الحكم عصرين من عصور هذه المرحلة الطويلة وهما عصر الفاطميين وعصر الأيوبيين ، فقد كانا أخف على العرب وطأة ، وأقرب إلى نفوسهم ، ولقد نشأت في هذين العصرين أحلاف عربية ، ولكنها كانت أحلafa تحمل طابعا مختلفا من الأحلاف المعادية التي

قامت فى سائر هذه المرحلة .

فى العهد الفاطمى تدفقت على مصر جماعات كبيرة من قريش ، فرحب بهم الفاطميون ، وهبأوا لهم سبل الاستقرار ، وجاءت فى نفس الوقت أعداد هائلة من بنى هلال وسليم ، وامتلاً الحوف الشرقى والصحراء الشرقية بهم .

أما عصر الأيوبيين فقد كان عصر بطولات مثل فيها العرب دوراً هاماً فى الدفاع عن البلاد العربية ضد الصليبيين ، وكانت فى جيش صلاح الدين عشار من العرب ، تحالفت لقتال الفرنجة ، وكان لقبائل طيء التى لمع اسمها فى أيام الفاطميين ، فضل كبير فى محاربة الصليبية فأراد صلاح الدين أن يكافئهم ، فنقل منهم جرماً وثعلبة إلى الحوف الشرقى وأسكنهم مساحات واسعة فى أرض جذام (٥٢) فى الجانب الشمالى الشرقى من الحوف ، وانحسر الجذاميون عن هذا الجانب ، وصارت مساكنهم تكاد تقتصر على الجانب الغربى من الشرقية ، كما يتضح من دراسة الأمكنة التى أوردها المقرئ فى البيان والاعراب ، فقد ذكر هريبط (٥٣) (بالقرب من أبى كبير) وتل بسطة (٥٤) (الزقازيق) ، وفاقوس (٥٥) (سكنها هلبا سويد من جزام) ، والبرامون (٥٦) (سكنها الحبادرة من جذام أيضاً) (٥٧) .

وكان لأولاد همام وهو فرع من الهوارة شأن عظيم فى صعيد مصر ، ولا تزال أسر منهم تعيش فى قرى تحمل أسماء فروع من قبائلهم مثل أولاد مؤمن (فى طما) ، والدناجلة والبلايزة (فى أبى يتج) ، والصوامع والغنائم وأشحوم (مركز سوهاج) والعبادة (مركز أسيوط) (٥٨) .

ولسنا نبغى أن نكتب تاريخا شاملا للهجرات العربية إلى مصر ، وكل ما نريد إبرازه أن سيل المهاجرين العرب إلى مصر لم ينقطع منذ الفتح الإسلامى حتى العصر الحديث ، وقبل أن نتحدث عن العصر الحديث نشير إلى نموذج من الأحلاف العربية التى تكونت فى مصر قديما مثل الأحلاف القرشية وحلف ربيعة وحلف الهلالي وحلف التركي وبهراء والمغاربة ونختار منها :

الأحلاف القرشية ، فقد رحلت إلى مصر طوائف من العمريين من سلالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومعهم طائفة من بنى عدى وبنى كنانة بن خزيمه ونزل جماعة منهم بدمياط والبرلس (٥٩) .

وظهرت جموع من الزبيريين ، مثل بنى مصعب ، وبنى بدر مصلح ، وبنى رمضان ، وبنى عمرو ، وسكنوا البهنساوية شمالى الأشمونين .

وقال مؤلف القاموس الجغرافى : دلنى البحث على أنه كان فى اقليم الغربية بلدة قديمة تسمى الزبيرية نسبة إلى أنصار ابن الزبير الذين كانوا مقيمين فى الفسطاط وأخرجهم منها الخليفة مروان بن الحكم ٦٥هـ / ٦٨٤م وأنزلهم بالغربية ، وفى القرن الحادى عشر الهجرى طغى ماء النيل على مساكن قرية الزبيرية فأكبها واندثرت فاضطر أهلها إلى أن ينشئوا مساكن جديدة فى أراضى الزبيرية بدل القرية المندثرة .

وقد أنشأوا ثلاثة كفور وهى كفر حشاد وكفر الهواشم وكفر شماخ ، وفى عام ١٢٢٨ فصلت ثلاثة الكفور عن بعضها وقيد لكل كفر منها زمام خاص ضمن نواحي المنوفية ، وفى مركز شبين الكوم بالمنوفية قرية الشهدا ، موضع حدثت فيه حروب بين مروان والزبيرية من أهل مصر ٦٥هـ / ٦٨٤م وقتل من الفريقين عدد عظيم (٦٠) .

وشهد زمن سلاطين المماليك نشاطا فى العلاقات بين مصر والحجاز فى جميع النواحي تقريبا فقد كانت فى مكة عائلات مصرية بدأت فى الاستقرار فى القرنين السادس والسابع الهجريين ومن هذه العائلات النويريون الذين استقروا فى مكة وصاروا جزءا من المجتمع المكي ، وتقلدوا مناصب سامية فيها اهمها القضاء (٦١) . كما وجدت فى مكة أيضا عائلات مصرية أخرى وفدوا إليها للتجارة غالبا ، منهم (النويريون) ، وبنو القطان ، والرشيدي ، والفيومي ، والزقزوق ، والرواس ، والأسيوطي (٦٢) .

كما وجدت فى المدينة المنورة أيضا عائلات مصرية فى ذلك العهد أهمها بيت الدمياطي وبيت الاسكندراني وبيت حجاج الصعيد وبيت السمهودي (٦٣) . وكانت أقوى التجارات بالمدينة المنورة تجارة الحبوب كالقمح والعدس ، ويسيطر عليها الوافدون المصريون (٦٤) ، كما كانت تجارة البلح أكثر تجارات المدينة وأوسعها لكثرة بساتين النخيل بضواحيها ولتعدد أنواع التمر صارت له سوق خاصة به ، وكان المصريون يتولون أكثر التجارة فيه (٦٥) ، ومايهمنا معرفته عن علاقات بين مصر والحجاز فى ذلك العهد أيضا أن أكثر المجاورين بمكة كانوا من المصريين والشاميين ، وربما عاد هذا إلى قرب الشام ومصر من الحجاز فكان من السهل على العلماء الانتقال ، كما أن المماليك (حكام مصر) كانوا هم المسيطرين فى مصر والشام والحجاز فكان ذلك يحقق للمصريين والشاميين ميزة ظاهرة ونوعا من الأمن لا يجده غيرهم (٦٦) .

الهوامش

- ١- انظر نص الكلمة كاملا فى الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود ، ط الرياض ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ١٢٦ .
- ٢- محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربى ، ج ١ ص ١٠ - بيروت ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م .
- ٣- دروزة : عروبة مصر قبل الإسلام وبعده ، ط ٢ - بيروت ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ص ١٩٢-١٩٣ .
- ٤- القلقشندى : صبيح الاعش ج ٤ ص ٢٤٤ .
- ٥- جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ٢٨٦ .
- ٦- محمد كامل حسين : أدب مصر الإسلامية ص ١٢ ، حتى تاريخ العرب ص ١٢ ، ليمان حزين : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) ص ٢٩ .
- ٧- كامل حسين : أدب مصر الإسلامية ص ١٣ ، حتى تاريخ العرب ص ٣٥ .
- ٨- عبد المجيد عابدين : البيان الاعراب عما بأرض مصر فى الاعراب للمقرئزى (تحقيق وتأليف) ص ٩١ القاهرة ١٩٦١ م .
- ٩- جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ٢٨٦ .
- ١٠- عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ص ٩١-٩٢ .
- ١١- محمد كامل حسين : المرجع السابق ص ١٦ ، مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) ص ٢٤٧ .
- ١٢- ابن عبد الحكم - فتوح مصر ١٠٩ ، السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٧٩ .
- ١٣- محمد كامل حسين : المرجع السابق ١٦ .
- ١٤- عبدالله خورشيد البرى - القبائل العربية فى مصر ص ٣٣ .
- ١٥- الكندى (ابو عمر بن يوسف) : الولاة والقضاة ص ٦-٧ .
- ١٦- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٤٩-٥٠ .

- ١٧- عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر ص ٣٦ .
- ١٨- شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول ص ٢٠ . بتصرف .
- ١٩- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٣٥٢ .
- ٢٠- ابن عبد الحكم : المصدر السابق ص ٥ .
- ٢١- شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامى ص ١١١ .
- ٢٢- عبد المجيد عابدين : البيان والاعراب للمقرئى ص ٩٥ .
- ٢٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩١-١٢٩ .
- ٢٤- صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٣١ .
- ٢٥- تحقيق عبد المجيد عابدين - طبع عالم الكتب - القاهرة ١٩٦١م .
- ٢٦- حوليات الإسلام ج ٤ ص ٥٦٩ ميلاد ١٩٠٥ - ١٩١٨م .
- ٢٧- شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول ص ١٣٧ .
- ٢٨- الخطط ج ١ ص ٢٩٦ .
- ٢٩- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٩٨ .
- ٣- الكندى ص ٧٦ والمقرئى فى البيان والاعراب ص ٦٤ .
- ٣١- عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر البطن المشهورة التى منها بنو كلاب وجعدة وعقيل وقشير وعجلان وهلال ونيمر (المقرئى البيان والاعراب) تحقيق عابدين ص ٦٧ .
- ٣٢- هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، بطن من قيس بن عيلان (انظر كحالة) معجم قبائل العرب ج ٣ ص ١٢٣١ ط ٢ ، ١٤٠٥/١٩٨٥م .
- ٣٣- كانت مساكن بنى سليم فى عالية نجد بالقرب من خبير ومنها مرة بنى سليم وحره النار بين وادى القرى وتيماء ثم تحولوا إلى مصر وافريقية (المقرئى : البيان والاعراب) تحقيق عابدين ص ٦٧ .
- ٣٤- الكندى ص ٧٧ ، المقرئى فى البيان والاعراب ص ٦٦ .

- ٣٥- شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول ص ١٥ .
- ٣٦- عابدين ص ١٠٥ .
- ٣٧- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤١ .
- ٣٨- تقع على الساحل الغربى للبحر الأحمر ، ولا تزال أنقاضها جنوب القصير بمسافة عشرة كيلو مترات .
- ٣٩- ابراهيم العدوى - مصر الإسلامية - الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٥م ص ٢٢٣
- ٤٠- خورشيد : المرجع السابق ص ٤٩ .
- ٤١- كان أولاد الكنز ينزلون اليمامة وقدموا إلى مصر فى خلافة المتوكل فى عدد كثير وانتشروا فى النواحي ، ونزل طائفة منهم بأعلى الصعيد وسكنوا بيوت الشعر فى براريها الجنوبية وأوديتها (المقرئى - البيان والاعراب - تحقيق عابدين ص ٤٤)
- ٤٢- يقال أن جماعات من بلى نزلت إلى بلاد البجة قبل الإسلام وهاجر الحضارة إليها فى القرن السادس الميلادى ولعلمهم امتزجوا ببلى (المقرئى - البيان والاعراب - تحقيق عابدين ص ١٤٢) .
- ٤٣- دروزة : عروبة مصر ص ١٧٦-١٧٧ نقلا عن نعم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ج ٣ ص ٧٢٤-٧٢٥ .
- ٤٤- مدد عنها فى معجم قبائل العرب أنها من قبائل مصر العربية وتنتسب إلى عرب الحجاز وتقيم فى مديرتى قنا وأسوان (انظر عمر رضا كحالة - معجم قبائل العرب ج ٢ ص ٨١٩) .
- ٤٥- هم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى بن قضاة ، كانت مساكنهم ما بين ينبع ويثرب ، وقد انتشرت جهينة فى صدر الإسلام انتشارا عظيما فى بلاد مصر واستمرت تنمو وتتكاثر حتى أصبحت أكثر القبائل فى الصعيد عددا . (انظر كحالة - معجم العرب ج ١ ص ٢١٦ ، ج ٥ ص ٣٢٠) وفى مديرية القليوبية فى مركز شبين القناطر بلدة تسمى نزلة عرب جهينة أصلها من توابع زفتية مشتول ثم فصلت عنها فى العصر الحديث (انظر عبد المجيد عابدين - البيان والاعراب للمقرئى حاشية ص ٣٣) .

٤٦- يرد اسمها الصوالح والصوالحة م من قبائل العرب فى مصر ، كانت تقطن الشرقية والقلبيوية سنة ١٨٨٣م (كحالة - معجم قبائل العرب ج ٢ ص ٦٥٤) والآن هي قرية تابعة لمركز شين القناطر محافظة القليوبية) .

٤٧- دروزة : عروبة مصر ص ١٧٧ نقلا عن نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ج ٣ ص ٧٢٤-٧٢٥ .

٤٨- راجع عوامل احداث هذا التوازن فى : عبد المجيد عابدين : البيان والاعراب للمقرىزى ص ١٠١ .

٤٩- يقصد بالحواف الشرقى المنطقة التى تقع شرق فرع دمياط أى الشرقية والدقهلية والقلبيوية .

٥٠- المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ١٨ .

٥١- المسعودى : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢ .

٥٢- كانت جذام أول من سكن مصر من العرب جاؤا في الفتح مع مرو بن العاص وأقطعوا بلادا أظل بعضها بأيدي بنينهم حتى عصر الحمدانى ، ومن اقتطاعاتهم هريبط وتل بسطة ونوب وغيرها (انظر عابدين : البيان والاعراب للمقرىزى ص ١١)

٥٣- من المدن القديمة بمركز كفر صقر بمديرية الشرقية ترد أحيانا قريبط وقريبط (المرجع السابق حاشية ص ٢٣) .

٥٤- من المدن المصرية القديمة ومعنى اسمها مدينة الالهة ، وهى الآن ماتبقى من أطلال هذه المدينة بعد اندثارها وهى تابعة لمركز الزقازيق (نفس المرجع والصفحة) .

٥٥- من المدن المصرية القديمة ، ووصفت فى كتب الجغرافيا بأنها فى آخر ديار مصر من جهة الشام الأقصى ، وفاقوس الحالية وملحقاتها تابعة للشرقية (نفس المرجع ص ٢٤) .

٥٦- اسمها القديم البرمونين من أعمال الدقهلية (بمركز المنصورة اليوم) (نفس المرجع والصفحة) .

٥٧- عابدين : البيان والاعراب للمقرىزى ص ١١-١٢ .

- ٥٨- عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ص ١٣٦ .
- ٥٩- المقرئى : البيان والاعراب ص ١٠-١١ .
- ٦٠- عابدين ص ٤٢ نقلا عن القاموس الجغرافى للبلاد المصرية لمحمد رمزى - القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٨م ج ٢ ص ١٨٥ .
- ٦١- على بن حسين السلميان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المالك - القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ص ٢٠٨ نقلا عن محى الدين : الارح المكى ورقة ٩ .
- ٦٢- ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٠١ .
- ٦٣- ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٣٩ .
- ٦٤- البتونى : الرحلة الحجازية ص ٢٥٩ .
- ٦٥- البتونى : الرحلة الحجازية ص ٢٥٤ .
- ٦٦- على بن حسين السلميان : المرجع السابق ص ٢٣ .

نتائج اختلاط المصريين بالعرب : -

كانت أولى هذه النتائج التزاوج بين المصريين والعرب ، فقد كان شباب العرب جنودا ومهاجرين ، يتزوجون المصريات فقد كان للعرب الفاتحين بطبيعة الحال امتيازات مادية ومعنوية بحكم الدين والاصل ، تحبب الناس فى التقرب منهم ، والانتساب إليهم ، فلم يكن من الصعب عليهم التزوج من المصريات والمسيحيات ، وكان من مظاهر العظمة والغنى والوجاهة أن يتزوج الرجل بأكثر من زوجة ، مما زاد فى النسل ، فقد بلغ لأحد مشايخ العربان ثمانين ولدا (١) .

وكان العربى يعمل على أن تكون له زوجة فى كل بلدة يتردد عليها ، ليقيم عندها فى أثناء أسفاره للتجارة ، أو ليختبئ فى بيتها عند مطاردة أعدائه له ، ولتكون له عينا وأذنا فى الأوقات والمضطربة .

فعدد الأطفال الذين ولدوا فى مصر بعد الفتح العربى بسنوات قليلة كان سدسهم على الأقل من آباء عرب ، ولما كان الابناء ينسبون إلى أبيهم فانهم كانوا يعدون عربا . وكانوا يلقنون اللغة العربية منذ طفولتهم الأولى حتى يندمجوا فى البيئة العربية .

ومن التقاليد القديمة أن الفتاة العربية لايجوز لها أن تتزوج إلا عربيا ، فكان بنات العرب من زوجات مصريات يتزوجن عربا ، أما أبناء العرب من أمهات مصريات فكان يمكنهم أن يتزوجوا المصريات ، ومع ذلك فإن ابناءهم وبناتهم يعدون عربا ، وفضلا عن ذلك فإن دين الإسلام يسمح للرجل المسلم أن يتزوج بنصرانية ، أما المسلمة فلايجوز لها أن تتزوج نصرانيا ، واحتفظ العربى بحق الزواج من بنات

الفلاحين ، وعلى العكس لم يسمح عربى لفلح أن يتزوج من ابنته .

ومن النتائج أيضا استيطان القبائل العربية ، فقد اتجهت القبائل العربية بعد انتقالها إلى الأمصار نحو الاستقرار والأخذ بأسباب الحياة الحضرية التى شجعت عليها طبيعة العمران فى البيئات الجديدة التى تأسست بها تلك الأمصار سواء فى مصر أو غيرها ، فلم تعد تلك الأمصار مجرد معسكرات لإقامة الجند العرب ، وإنما غدت مراكز التقاء بين العرب وسكان البلاد المحليين ، وسيلا للتقارب ثم الامتزاج الاجتماعى ونتج عن هذا التحول الاجتماعى أن تخلت القبائل العربية عن كثير من مفاهيم البداوة ، وبخاصة التى تحتقر المهن ، ونزل الافراد إلى ميدان الاشتغال بالزراعة واقبلوا أيضا على امتلاك الأراضى ، تقديرا منهم لأهميتها فى بناء الثروة ودعم المكانة الاجتماعية بالتالى .

ولقد ترتب على هذا التحول الاجتماعى ضعف المفاهيم والروابط القبلية بالتدريج ، فلم يعد أفراد القبائل يخضعون لشيخ القبائل أو يتلقون منهم التوجيهات والارشاد ، وبدأت تظهر معالم اجتماعية أخرى تركزت فى اشتداد سلطة عمال الدولة ، وتقلدهم مقاليد الامور التى كانت مناطة من قبل بشيوخ القبائل وفقدت القبائل أيضا مظهرها آخر من مظاهرها الاجتماعية الأولى ، وهو الاهتمام بأخبارها وأنسابها وشعرها ، وبدأت تستبدل بذلك التغنى بمآثرها فى الإسلام ، ومكانتها فى الأمصار الإسلامية الجديدة .

وظهرت نزعة اقليمية حلت على النزعة القبلية فى الأمصار ، وما صاحب ذلك من تطلعات اجتماعية جديدة هدفها البحث عن مظاهر أخرى تحقق المساواة بين هذه

الفوارق التي سادت الحياة العربية في شتى أرجاء الدولة الإسلامية (٢).

وصاحب استيطان القبائل العربية واشتغالها بالزراعة تحول اجتماعي آخر كبير بين أبناء مصر وغيرها من ولايات الدولة الإسلامية من غير العرب ، اتخذ ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدن ، ذلك أن الدين الإسلامي بدعوته إلى المساواة التامة بين أتباعه حرر الكثيرين من الفلاحين من أهل البلاد المفتوحة الذين سبق أن رسفوا في أغلال العبودية الاجتماعية والاقتصادية ، ثم أعقب ذلك هجرة من الريف إلى الأمصار الإسلامية الجديدة للاستفادة من امكانيات الحياة الواسعة هناك ، والمشاركة في معالمها الحيوية .

من النتائج أيضا قوة العنصر الجديد الناتج عن زواج العرب بالمصريات ، فالعرب الذين جاؤا إلى مصر فاتحين أو مهاجرين ، اضطروا أن يسيروا على أقدامهم أو ممتطين جيادهم وجمالهم مسافات طويلة بين الجزيرة العربية ومصر مخترقين صحارى موحشة ، حاملين اسلحتهم ومهماتهم الشخصية ، معرضين أنفسهم لجوع والعطش والتقلبات الجوية الشديدة ، مثل هذا الجيش لابد أن يكون أفراده من ذوى اللياقة البدنية الممتازة وصحتهم العمومية جيدة .

ومن المؤكد أنهم كانوا من ذوى الإقدام والشجاعة وحب المغامرة وإلا لما جازفوا بمخاطر تستلزم كثيرا من القوة البدنية والشجاعة .

كتبت دائرة المعارف البريطانية تحت مادة (العرب) أن العرب من الناحية الجسمانية من أقوى وأنبّل شعوب العالم ، ونقلت عن كبير الجراحين في حملة نابليون التي احتلت الأوروبيين ، أن أعضاء الحس عندهم حادة جدا ، وأجسامهم تزيد على

المتوسط فى العادة ، وأجسامهم قوية ورشيقة ، ولونهم أسمر وذكاؤهم يتناسب مع
كمالهم الجسمانى وهو ذكاء عال، إذا تساوت الأشياء الأخرى (أى التعليم والتجربة) .
ولذا فىمكننا أن نقول أن الأطفال الذين ولدوا للعرب من المصريات كانت
لياقتهن البدنية جيدة فى أغلب الأحوال .

أما أقباط مصر الذين تمسكوا بدينهم فقد اختلطوا أيضا بالمسيحيين الاجانب
الذين كانوا يستوطنون مصر أو يجيئون إليها للتجارة من الشام ولبنان وأرمينيا ، ومع
المسيحيين الذين كانوا تحت الحكم التركى فى البلقان ، ولاشك أن الكثيرين من أقباط
الوجه القبلى قد تزوجوا والاحباش والنوبيين الذين ظلوا متمسكين بالمسيحية فترة
طويلة (٣) .

ومن النتائج الهامة حركة التعريب وانتشار اللغة العربية ، فقد صاحب بناء
الجيل العربى فى مصر ، ظاهرة فريدة اختصت بها مصر من دون غيرها من البلاد
التي شاركتها فى الانضمام إلى دائرة العروبة ، فالشعب المصرى وقف طوال تاريخه
وقفة عناد لكل لغة أجنبية يحملها إليها أى دخيل ، من أمثال اليونان والرومان . فلم
تتغلب اليونانية أو الرومانية على لغة المصريين برغم سيادة اليونان والرومان على
مصر ، حتى اضطر أحد المعاصرين إلى القول " إذا أراد يونانى أن يعلم المصريين شيئا
من القانون ، فخير له أن يتعلم لغة المصريين حتى يستطيع أن يتفاهم معهم ، أما إذا
خاطبهم باليونانية فلafائدة من حديثه (٤) .

وباستقرار الفتح الإسلامى فى مصر ، وانتشار القبائل العربية فى سائر أرجاء
البلاد المصرية ، بدأ المصريون يقبلون على تعلم اللغة العربية عن طواعية ، ودون

اكراه ، مما يدل على شدة التجارب بين العرب والمصريين وأن عهدا جديدا أخذ يشرق على الديار المصرية ، وساعد على هذا التجارب القواعد الجديدة التي وضعتها الدولة الأموية لتعريب ديوان الخراج ولضبط النظام المالى ، وهى أمور ساعدت أيضا على سرعة التعريب فى مصر .

ومن هذه العوامل أيضا قطع مراتب الجنود العرب فى مصر عام ٢١٩هـ / ٨٣٤ م فى زمن العباسيين مما اضطرهم إلى أن يندمجوا فى الشعب المصرى للسعى وراء معاشهم .

ومن ذلك أن الحكومة كانت تحارب العرب أحيانا - كما رأينا - وتنقلهم من مساكنهم بسبب ثوراتهم فكانوا ينقلون من الشرق إلى الغرب ومن الوجه البحرى إلى الصعيد ، فيختلطون بالاهالى ويتزوجون وإياهم ويعيشون عيشة الاستقرار .

صاحب انتشار اللغة العربية فى مصر ، وساعد على أصالتها فى البلاد قيام حركة دينية واسعة النطاق ، عقب الفتح الإسلامى مباشرة ، وركزت هذه الحركة فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، حيث اتخذها الصحابة الذين شهدوا الفتح مقرا لهم ويدرسون فيه وترتب على ذلك ظهور مدرسة دينية بمصر ، نشأت ثم نمت بالتدريج ، وصار لها أتباع عديدون ، أسهموا فى دعم الثقافة الدينية ، التى امتلأت بها سائر أرجاء الدولة الإسلامية فى صدر حياتها ، وجعلوا من وطنهم مصر مركزا هاما من مراكز هذه الحركة الدينية الزاهرة .

كما ازدهرت أيضا الدراسات العربية فى ميدان التاريخ (٥) .

استمرار الارتباط فى العصور الحديثة :

نزحت فى العصور الحديثة هجرات عربية جديدة إلى مصر ، وفى أثناء هذه العصور ، قضت مصر فترة طويلة كانت تعاني فيها من حلقات أخرى من سلسلة الحكم التركى ، فلم يقف هذا الحكم عند نهاية المرحلة السابقة فى مصر ، بل استمر على يد العثمانيين الذين استولوا على مصر فى سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م ، واستطاع على بك الكبير فى القرن الثامن عشر ، أن يقبض على زمام الحكم فى مصر ، وله مع عرب الحبايبة والهادى فى الوجه البحرى ، والهوراة فى الوجه القلى ، معارك عنيفة دامية ذكرها الجبرتى فى تاريخه .

ثم استولى محمد على على مصر ، فبدأت حلقة جديدة من الحكم التركى ، وتناوبت سلالاته الحكم فى ظل الاستعمار الأوروبى إلى أن عاد الحكم إلى أصحاب البلاد (٦) .

وعندما دخلت جيوش الاحتلال البريطانى مصر ، وأخذوا بمعاونة اسرة محمد على يستميلون البدو ، ويستغلون الخلاف بين القبائل المتنازعة ويشجعونهم على التمسك بالنظام القبلى ، ونفذوا سياسة " عزل الصحراء عن البلاد الداخلية " فعسكرت قوات الاحتلال فى الصحارى المصرية ، وجعلوها منطقة مغلقة ، حرموا فيها العمل وملك الأراضى والتصرف فيما تنتجه (٧) .

وقد رأينا من قبل كيف أصبحت مصر جزءا من الأمة العربية الإسلامية ، بل وكانت القاهرة فى فترات من التاريخ الإسلامى ، وحتى نهاية العصر المملوكى ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م عاصمة للدولة التى لها السلطان على مصر ومعظم بلاد شبه الجزيرة

العربية ، وأصبح للأوقاف الموقوفة على الحرمين فى مصر دور كبير فى انعاش الحياة الاقتصادية فى الحجاز ، كما كان لهذه الأوقاف دور كبير فى تقوية الروابط بين مصر والحجاز .

كذلك أم أبناء مصر من المسلمين بلدان شبه الجزيرة العربية ، إما بقصد أداء فريضة الحج واستقرار بعضهم فى المدن المقدسة ، وإما بقصد التجارة وممارسة الأنشطة الاقتصادية الأخرى ، والاستقرار فى مدن وموانئ هذه البلدان ، والاندماج اجتماعيا فى مجتمعات هذه المدن والموانئ ، وهناك كثير من الأسر الحجازية التى توجد فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وجدة ، وينبع تحمل لقب المصرية ، بل أن الأستاذ حمد الجاسر يقول أن أغلب سكان مدينة ينبع من الأسر العربية التى انتقلت من صعيد مصر واستوطنت هذه المدينة (٨) .

وقد عثر الدكتور / عبد الرحيم عبد الرحمن على كم ضخم من الوثائق والسجلات بمحاكم القاهرة تتعلق بأبناء بلدان الجزيرة العربية ، تناولت حياتهم الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية المختلفة التى كانوا يمارسونها فى القاهرة والمدن المصرية المختلفة ، والدور الذى لعبوه فى بنية الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية ، فى مصر فى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى .

فإذا انتقلنا إلى الفترة المعاصرة لحكم جلالة المغفور له الملك عبد العزيز - طيب الله مثواه - نجد العلاقات بين المملكتين تتحسن وتزداد وثوقا ، وما ذلك إلا للاحساس الداخلى المتبادل بين الشعبين بأن أصولهما واحدة ، وأن ما يجمعهما واحد وهو الإسلام والعروبة وكان من آثار هذه العلاقات الطيبة أن شرفت مصر باستقبال جلالة الملك عبد

العزیز - رحمہ اللہ - و تجلت لہ بصورۃ صادقة واضحة مشاعر المصریین تجاهہ و تجاه
اخوانہم السعودیین وقد عبر جلالته عن ذلك فی كلمته التی بدأنا بها هذا البحث (٩)
ونظرا لكون الدولتین المصریة والسعودیة یمثلان جناحی القوة وسط البلاد العربیة فقد
كان من آثار التقائهما وتعاونهما أن قامت مشاورات ومذكرات بین ملوك ورؤساء
جمهوریات البلاد العربیة و بین أقطاب ساستها لدعم البنیان العربی المستقل وحفظ
کیانه والعمل بصورۃ مشتركة وموحدة إلى ما یضمن سلامة وحریة الاقطار العربیة .

وأرى أنه من المناسب هنا - وما یتعلق بموضوع القبائل فی البلیدین - أن نشیر
إلى قانون الجنسیة الذی صدر فی الحکومة السعودیة فی عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م لما
لذلك من دلالة واضحة على استمرار ارتباط القبائل العربیة فی مصر بالقبائل العربیة
فی المملکة العربیة السعودیة فی العهد الحدیث وأن العلاقات التی قامت بین البلیدین
فی عهد جلالة الملك عبد العزیز أدت إلى إقامة کثیر من المصریین فی المملکة العربیة
السعودیة وکثیر من السعودیین فی مصر فقد أصدرت الحکومة السعودیة يوم ٢٢
ربیع الأول ١٣٤٥هـ / اغسطس ١٩٢٦م قانون الجنسیة ، وینص على أن یتبر
(حجازیا) کل من کان ذو تابعیة عثمانیة قبل الحرب العامة من أبناء الحجاز الاصلیین
أو المقیمین ، وکل من ولد فی الحجاز وعلى أن یکون لكل مسلم بلغ سن الرشد وأقام
فی الحجاز ثلاث سنوات متوالیة أن ینال الجنسیة الحجازیة .

واعترضت حکومة مصر على هذا القانون وطلبت تعدیله ، فردت الحکومة
السعودیة بأن القانون تدبیر عام اقتضته المصلحة (١٠) .

وبعد معاهدة ١٩٣٦م تبودلت بعض الكتب بين الحكومتين المصرية والسعودية

ما يهنا منها فى هذا المجال كتاب بشأن جنسية المصريين فى الحجاز وهو : -

" أشرف أن أثبت فيما يلى القواعد التى اتفق عليها بشأن جنسية المصريين

الذين كانوا مقيمين بأراضى الحكومة العربية السعودية فى وقت صدور نظام التبعية

الحجازية ، و جنسية العرب السعوديين الذين كانوا مقيمين بأراضى المملكة المصرية فى

وقت صدور قانون الجنسية المصرية وهى : -

يمنح لكل من الفريقين المتقدم ذكرهما مهلة قدرها ستة أشهر لاختيار الجنسية

المصرية أو العربية السعودية ، ويجرى الاتفاق على الكشف النهائية المتضمنة أسماء

المصريين فى خلال الثلاثة الأشهر التالية للمهلة المشار إليها .

ولن يترتب على اختيار أحد المقيمين فى بلد لجنسية البلد الآخر ، أى مساس

بحقه فى البقاء أو الاستقرار فى أرض البلد الآخر حتى صدور قانون الجنسية الخاص

بالبلد الذى يقيم فيه . وغنى عن البيان أن المصريين أو العرب السعوديين الذين هبطوا

أراضى البلد الآخر منذ صدور قانون الجنسية الخاصة ، باقون على جنسيتهم الأصلية .

ورد فؤاد حمزة بالموافقة على ما جاء فى هذه الكتب (١١) .

وجدير بالذكر أن هناك أمورا استدعت استقرار بعض المصريين فى المملكة

العربية السعودية ، وأيضا استقرار بعض العرب السعوديين فى مصر ، فقد كان

التطور العظيم الذى حدث فى البلاد العربية السعودية منذ انبثاق فجر عهد جلالة

الملك عبد العزيز فى جميع المجالات سببا فى تبادل الخبرات بين مصر والمملكة ، فإذا

نظرنا إلى النهضة العلمية ومتطلباتها من العلماء والاساتذة فى جميع التخصصات

نجد أن للمصريين دورا كبيرا فى هذا المجال ، فها هو معهد الرياض العلمى الذى أمر
بانشائه جلالة الملك عبد العزيز ، وجرى افتتاحه بصورة رسمية فى اليوم العاشر من
المحرم سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥١م من قبل جلالة الملك سعود عندما كان وليا العهد ، نجد
أنه قد انتدب للتدريس فى هذا المعهد وفرعه (فى بريده) علماء من الأزهر الشريف
ومدرسون من وزارتى الأوقاف والمعارف المصرية وعددهم نحو ثلاثين مدرسا .
كما أن المعهد كان يحتضن الكثير من أبناء المسلمين ومنهم من أبناء
مصر (١٢)

كما كانت المدارس المهنية على اختلاف أنواعها ودرجاتها تضم مدرسين وفنيين
من مختلف البلاد ومنها مصر (١٣)

أما عن البعثات إلى الخارج ، فقد هیأت الحكومة السعودية بالاضافة إلى كل
مقامات به من أعمال فى حقل العلم والمعرفة لأبناء المملكة فرض استكمال ثقافتهم
واقام دراساتهم فى المعاهد العليا الخارجية ، وكانت أول بعثة سعودية إلى أرض مصر
سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م وتلتها بعثة سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م وفى سنة
١٣٦١هـ / ١٩٤٢م أوفدت إليها بعثة ثالثة ، وبعد ذلك انتظمت البعثات سنة بعد
أخرى إلى جامعة الأزهر فى القاهرة ليدرس بعضهم فى كلية الشريعة ، وبعضهم فى
كلية اللغة العربية ، وأوفدت فريقا منهم لكلية أصول الدين وآخر للقسم العام ، وتوفد
كذلك إلى جامعة فوال الأول بالقاهرة عشرات الطلاب ليدرسوا فى الكليات التى
تتألف منها هذه الجامعة وهى كليات الطب والعلوم والزراعة ودار المعهد العالى
للهندسة والبوليس والحربية والتجارة ومعهد الطيران والتليفونات والمساحة . وتوفد

إلى جامعة فاروق الأول بالأسكندرية للدراسة فى كليات الطب والآداب والتجارة
والحقوق وكلية فيكتوريا .

وعدا هذه البعثات الجامعية فانها تبعث كل سنة بعثات أخرى تعليمية إلى
مدارس رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية والمدارس الأجنبية ومدارس
التجارة المتوسطة والصناعات الميكانيكية ومعاهد الصم والبكم وبعثات التليفونات
والأشعة والمرور والمطافى والبرق والبريد (١٤) .

أما عن بعثات الشرطة فبدأ من سنة ١٣٧هـ / ١٩٥٠م وافق الملك عبد
العزیز على فكرة إيفاد بعثات الشرطة إلى مصر ، وسافر بالفعل ستة من الحاصلين
على الثانوية العامة للالتحاق بكلية الشرطة بالقاهرة ، كما أوفد معهم عشرين طالبا
لدراسة حركة المرور (١٥) .

كما تم - فى عهد الملك عبدالعزيز - تأسيس مدرسة للشرطة سنة ١٣٥٥هـ
/ ١٩٣٦م ويقوم بالتدريس فيها أساتذة أخصائيون انتدب أكثرهم من مصر (١٦) .

وفى سنة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م صدر الأمر الملكى بإنشاء وزارة الدفاع وعين أول
وزير لها المغفور له الامير منصور أحد أنجال جلالة الملك ، وانتدب فريقا من خيرة
الضباط المصريين والسوريين للعمل فيها وإدارة شئونها إلى جانب الضباط السعوديين
كما أرسل البعثات إلى بلاد كثيرة منها مصر للدراسة فى أهم معاهدها
العسكرية (١٧) .

وبالنسبة للبعثات العسكرية أيضا فقد أرسلت بعثات إلى كلية الطيران فى
مصر ، وقد أمر جلالتة بإبقاء القوات السعودية التى اشتركت مع الجيش المصرى فى

قتال اليهود فى فلسطين فى مصر بعد الهدنة الأخيرة ، وأدخل عددا كبيرا من ضباطها وضباط صفها وجنودها فى مدارس الجيش المصرى للتدريب والتمرين على استعمال الاسلحة نظريا وعمليا (١٨) .

وفى مجال العمران فى عهد جلالة الملك عبدالعزيز فقد تم توسعة المسجد النبوى الشريف بمعرفة مهندسين انتدبوا من مصر والباكستان للكشف على عمارة المسجد ، ووضع التصاميم اللاتقة بمكانة المسجد ، فقام المهندسون بمهمتهم ورفعوا تقاريرهم إلى جلالة الملك فحظيت لديه بالقبول وأصدر أمره الملكى بالشروع فى العمل (١٩) .

وعن النهضة الزراعية فى عهد جلالتة ودور المصريين فيها ، فقد تم جلب الخبراء من مصر وأمريكا لدراسة المشاريع الخاصة بالزراعة (٢٠) .

وأبضا عن النهضة الصحية فقد ذكرت المصادر أن لمصر وحدها فى عهد جلالتة ستين طبيبا وستين ممرضة وخمسين اخصائيا من أمهر المختصين بشئون الطب والصحة (٢١) وهذا العدد يعتبر كبيرا بالنسبة للمتدبين من الدول الأخرى .

ومن هذا الاستعراض السريع لبعض جوانب النهضة فى عهد الملك عبد العزيز يتضح مدى عمق الروابط بين مصر والسعودية وإن شاء الله تظل هذه الأواصر والروابط قائمة راسخة إلى ما شاء الله .

وإلى جانب مظاهر النهضة التى شارك المصريون اخوانهم السعوديين فى نشأتها نجد أشكالا أخرى للعلاقات السياسية التى لامجال لاستعراضها هنا ، من زيارات متبادلة ومعاهدات وغير ذلك ، ونتخير أمرا من هذه الأمور له دلالتة على

مدى حب المصريين للشعب السعودى الشقيق ، ونقصد بذلك زيارة الأمير سعود لمصر فى عهد والده جلالة الملك عبد العزيز ، فقد ذكر أمين سعيد فى كتابه ان سمو الأمير سعود (جلالة الملك سعود الأول) بلغ القاهرة فى صيف ١٩٢٦م للعلاج من رمد أصاب عينيه ، فاحتفل به الشعب المصرى حفاوة منقطعة النظير ، دلت على مايكنه هذا الشعب من حب واحترام للبيت السعودى ، ومن تقدير لنهضته ، وعطف على جهوده ، وكان سموه أول أمير سعودى يزور مصر فى العهد الحديث (٢٢) .

وهناك الأشعار التى نظمها شعراء مصر مدحا وثناء على شخصية جلالة المغفور له الملك عبد العزيز نظموها فى مناسبات معينة كزيارة جلالتهم لمصر والتى وافقت ذكرى يوم جلوسه (٢٣) أو فى الذكرى الذهبية الخمسينية لحكم جلالتهم (٢٤) وهناك الكتب التى ألفها المصريون فى الشادة بالملك عبد العزيز ، وماكتب عنه فى الصحافة المصرية مما هو له من اعجاب بشخصه ومواقفه الخالدة .

وأخيرا وبعد كل تلك الأعمال الضخمة التى قام بها جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وافته المنية يوم الاثنين الثانى من شهر ربيع الزول سنة ١٣٧٣هـ الموافق لليوم التاسع من شهر نوفمبر ١٩٣٥م وكان لوفاته - رحمه الله - صدى كبير فى جميع أنحاء العالم وتأثير بالغ لدى الأمم العربية خاصة والإسلامية عامة .

وقد نظم الشاعر السعودى محمد بن على السنوسى قصيدة ميمية ، صور فى بعض أبياتها شدة وقع هذا النبأ على عواصم العالم العربى ومنعا مصر التى وصفها بالشقيقة فقال : -

نبأ كقصف الرعد هز دويه قلب " العراق " وذات " قلب الشام

ضجبت له مصر الشقيقة لوعة وارتاع في " صنعا " فؤاد دام

وتفطرت " لبنان " حزنا وانطوت " عمان " فسى شجن من الإيلام

تبكيك " يا عبد العزيز " بأكيد حررى وأدمع ناظر سجام

فقدتك فى حلك الخطوب وقد دحت طخياء تعصف كالحضم الطامى

ذكرت مواقفك العظيمة كيف لا والبدر يذكر عند كل ظلام (٢٥).

وهكذا يبدو من ثنايا ما أوردناه ما كان للموجات العربية من أثر عظيم فى تاريخ مصر حتى وكأنه تاريخها خالصا . وأرجو أن أكون قد وفقت فى إلقاء بعض الضوء على موضوع ارتباط القبائل العربية فى مصر بالقبائل العربية فى السعودية والذي بدأ من قبل الإسلام ، وقوى وازدهر فى ظل الإسلام ، وانعكست آثاره فى العصر الحديث فى تلك الصلات والعلاقات التى ربطت بين الشعبين ودفعتهما إلى التعاون والمشاركة الفعالة فى نهضة البلدين الشقيقين فى جميع المجالات فى عهد جلالة المغفور له الملك عبد العزيز .

الهوامش

- ١- ابو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ٢٩٥ .
- ٢- ابراهيم العدوى : مصر الإسلامية ص ١٩٢ .
- ٣- محمود حفناوى : المرجع السابق ص ١٦٥ .
- ٤- ابراهيم العدوى : المرجع السابق ص ٢٢٩ .
- ٥- ابراهيم العدوى : المرجع السابق ص ٢٤٧ .
- ٦- عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ص ١٦٦ .
- ٧- عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ص ١٦٩ .
- ٨- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم "دكتور" : الحجازيون فى مصر فى القرنين العاشر ، السادس عشر الميلادى ، بحث بمجلة الدارة . العدد الأول السنة الحادية عشرة - شوال ١٤٠٥ هـ / يونيه ١٩٨٥ م ص ١٤٢-١٥٧ .
- ٩- انظر ص ٢-٣ من هذا البحث .
- ١- أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية / عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ١٣١٩-١٣٧٣ هـ ج ٢ ص ٢٣٤ .
- ١١- أمين سعيد : المرجع السابق ص ٢٣٤ وفؤاد حمزة هو " وكيل الخارجية فوزير دولة فمستشار فوزير مفوض ، توفى فى بيروت ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م انظر الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز ط ٤ - بيروت ١٩٨٤ م ص ٣٢٣ .
- ١٢- عبد المنعم الغلامى : الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود / ط ٢ دار اللواء - الرياض . ١٤٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ٢٢٨ .
- ١٣- الغلامى : المرجع السابق ص ٣٠٠ .
- ١٤- الغلامى : المرجع السابق ص ٣٠٢ .
- ١٥- حسن الساعاتى (دكتور) : سياسة الملك عبد العزيز لحفظ الأمن فى المملكة العربية السعودية - بحث ألقى فى المؤتمر العالمى عن تاريخ الملك عبد العزيز ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م ص ٢١-٢٢ .
- ١٦- الغلامى : المرجع السابق ص ٢١٦ .

١٧- الغلامى : المرجع السابق ص ٢٢ .

١٨- خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ج ٣ ص ٩٩ .

١٩- أورد الغلامى فى " الملك الراشد " ص ٢٧ نص الارادة الملكية السامية التى أصدرها جلالة الملك عبد العزيز ووجهها إلى سمو الزمير عبد الفيصل وزير الداخلية والصحة بتنفيذ واقره المهندسون المصريون والباكستانيون بشأن عمارة المسجد النبوى وتوسعته هذه مقدمتها : من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم الابن عبد الله الفيصل سلمه الله السلام عليكم ورحمة الله وبعد :

فعد اطلعنا على مارسمناه رقم ٢٧/٤/٨٨٢٨ وتاريخ ١١ رمضان المبارك ١٣٧٠هـ بما أمرنا به " محمد بن لادن " المدير العام للعمائر والانشاءات الحكومية من أجل للحرم النبوى لتوسعته واصلاحه وصيانتته ولذلك طبقا لما رفعه إلينا من تقرير المهندسين المصريين بموافقة وزير الأشغال المصرية (عثمان محرم) إذ ذاك ، وبالنظر لرغبتنا فى الاستئناس بأراء خبراء فنيين من أجل مشروع التوسعة والاصلاح والصيانة ، فقد استقدمنا مهندسين من الباكستان وبعد أن رفع لنا مدير العمائر والانشاءات الحكومية (محمد بن لادن) تقرير الهيئة المذكورة مؤيدا لتقرير الهيئة المصرية رسمنا بما هو آت ١- يستمر العمل فى توسعة الحرم واصلاحه الخ) .

٢- الغلامى : الملك الراشد ص ٢٨ .

٢١- نفس المرجع ص ٢٨٥ .

٢٢- أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ج ٢ ص ٢٣٣ .

٢٣- انظر قصيدة عباس محمود العقاد فى كتابه : مع عاهل الجزيرة العربية ص ٥٥ منشورات المكتبة المصرية - بيروت .

٢٤- انظر قصيدة الشاعر أحمد فتحى فى كتاب : عبد القدوس الانصارى : الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر ص ٢ - مطبعات دار الملك عبد العزيز - الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٢٥- عبد القدوس الانصارى : الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر ص ١٠٧ .